دور آلة العود عند مؤلفي الأوركسترا العراقية

د. مصطفى عباس علي السوداني (العراق)

مقدمة

إن آلة العود من الآلات الموسيقية المهمة في الشرق بشكل عام وفي الموسيقى العربية بشكل خاص، وقد حصلت هذه الآلة في العراق على اهتمام كبير كونها تمثل الآلة الموسيقية الأولى التي يعتمد عليها الملحنون فضلاً عن المغنين في مرافقة الغناء، وبحكم التطور الحاصل في الموسيقى بشكل عام في العالم والموسيقى العربية والشرقية بشكل خاص فقد اهتم الكثير من العازفين المهرة إلى إضافة نتاج خاصب الآلات الموسيقية العربية واعطائها قيمتها الفنية التكنيكية والأدائية في العزف الموسيقي المجرد من الغناء فضلاً عن دورها الرائد في مرافقة الغناء، فكانت هناك مؤلفات في غاية الأهمية ومؤثرة في الساحة الفنية الموسيقية العربية والشرقية على حد سواء، حيث استحدثت قوالب وأشكال فنية موسيقية خاصة لآلة العود، فكان هناك السماعي والبشرف واللونگا وغيرها من القوالب الموسيقية العربية والشرقية التي ارتبطت بالعزف وإبراز القيمة الحقيقية للآلة الموسيقية فضلاً عن الإمكانات المهارية للعازفين.

وقد حاول الكثير من العازفين والموسيقيين ممن درسوا الموسيقى الكلاسيكية والتأليف والتوزيع الأوركسترالي والقيادة داخل العراق وخارجه، أن يرتقوا بالآلات الموسيقية العربية وامكاناتها الأدائية والتكنيكية في الحان شرقية عربيةوعراقية لترافق الموسيقى الأوركسترالية وتوسعة دائرة الفن الموسيقي العربي والعراقي ونشر الموسيقى العربية والعراقية إلى المحافل الدولية جنباً إلى جنب في تنمية ذائقة الجمهور العربي،وإظهارالقيمة الفنية والأدائية العالية للآلات الموسيقية الشرقية والعربية وأهمها آلة العود. ومن مبدأ الحرص على تراثنا الموسيقي وآلاتنا العربية الأصيلة من مقارعة موجات التمدن والابتعاد او عزوف بعض الشباب عن تلك الآلات، ولبيان حجم اهتمام المؤسسات الفنية والموسيقية العراقية بهذا الجانب، وجد الباحث مبرراً لدراسة دور آلة العود في المؤلفات الأوركسترالية التي قدمتها الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية.

ويكتسب هذا البحث أهميته الحقيقية من أهمية آلة العود في الموسيقى الشرقية والعربية، فضلاً ع نخصوصية آلة العود ولونهاالصوتي الذي اعتاد الشرقيون والعرب والعراقيون على الاستماع له وتأثيره الحسي والروحي في وجدان العراقيين من المؤلفين والعازفين والجمهور على حد سواء.

ويهدف البحث إلى الكشف عن دور آلة العود في المؤلفات الأوركسترالية في العراق وأشهر المؤلفين الذين قاموا بتأليف أو توزيع الأعمال الموسيقية لآلة العود ضمن أعمال الأوركسترا فضلاً عن أشهر عازفي العود الذين عزفوا تلك الأعمال الأوركسترالية.

كما ويتحدد البحث في حدوده المكانية في العراق والعاصمة بغداد، بالحدود الزمانية المحصورة بين سبعينات القرن العشرين حتى وقت كتابة البحث في العام ٢٠٢١م، والحدود الموضوعية هي المؤلفات الأوركسترالية بمرافقة آلة العود ضمن أعمال المؤلفين العراقيين.

العود في موسيقى القرن العشرين

إن جميع المؤلفات الغنائيةالشعبية أو المنهجية المؤلفة، تؤدى في القرن العشرين كما هو الحال في العصور السابقة في مختلف بلدان الشرق الاوسط والبلدان العربية الاخرى على آلة العود كما في العصر العباسي، وان إمكانية الأداء هذه بمختلف الاشكال والأنواع الغنائية موجودة أيضاً عند آلات وترية وهوائية أخرى في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كما في مصر بالتحديد، باختلاف حجمها ووزنها وطريقة نصب أوتارها وتقنيات استخراج النغمات من أوتارها وطريقة مسك الآلة عند العزف عليها. بيد أن استعمال آلة العود بديلاً ناجحاً عن تلك الآلات الموسيقية يعتمد في الواقع على جميع هذه الخصائص فضلاً عن طبيعة الموسيقى العربية التي تتصف بالخاصيةالغنائية بشكل عام، حيث يسهل على المغني مرافقة غنائه على آلة العود بالمقارنة مع الآلات الوترية الأخرى وكل مغن نال قسطاً قليلاً من التعليم الموسيقي بإمكانه العزف على آلة العود.(فريد، ٢٠١٥، الصفحات ٤٨٨-٤٨٩)

بدأ العراق في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين مسيرة متجددة من الأعمال الغنائية، حيث يمكن اعتبار النتاج الفني آنذا كبداية لتأسيس الأغنية الحديثة في العراق وانطلاق الأعمال الفنية الرصينة عبر حناجر أشهر المطربات اللواتي ظهرن آنذاك، وهنا لعب الموسيقيون من الطائفة اليهودية في العراق دوراً كبيراً في صناعة هذه الألحان.(العباس، ٢٠١٢، الصفحات ٤١-٤٣) حيث يعتبر المجتمع العراقي من المجتمعات المحافظة على التقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة، وكان ذلك واضحاً في معارضة الكثير منا لعائلات بالسماح لأولادهم لممارسة الموسيقى باعتبارها نوعاً من الخروج عن تقاليد المجتمع، ولكن الرغبةالشديدة لدى شريحة الشباب وانفتاحهم على قيم

الثقافة، أعطتهم شحنة من الاندفاع الذي ساعدهم على الخروج منسيطرة التقاليد ومفاهيم المجتمع المتحفظة، حيث تمكنت النُخب التي تلمّست طريقها نحو التطور والانعتاق من تحقيق النجاح في السير ضد التيار. (الأنصاري، ٢٠١٢، صفحة ٥٩) وعندما تأسست الدولةالعراقية في العام ١٩٢١م ومضت نحو الاستقلال في العام ١٩٣٢م، أعلنت بغداد عن حياةجديدة نابضة بالانفتاح والشعور العام بالأمان والاستقرار على نحو نسبي، حيث المقاهي التي كانت أبوابها مفتوحة وهي تحتضن أمسيات فنية وثقافية متنوعة من الغناء العراقي بمرافقة فرق موسيقية متواضعة لا تخلو بالتأكيد من آلة العود كمرافق أساسى للغناء، فضلاً عن وجود الملاهي التي انتشرت في مدينة بغداد، في خضم هذه الأجواء ومع بروز الطبقة البغدادية التي مثّلت جمهور متذوق للموسيقى والغناء،بعد انتشار دور السينما في بغداد والإذاعات العربية التي تبث عبر أثيرها العديد من أغاني المطربين العرب والمصريين بالتحديد، (السوداني، ٢٠٢٠، صفحة ٨٤) وبدأ الوعي والحس الفني على نحو ملموس بالرغبة لخلق نمط جديد من الغناء باتجاه آفاق أرحب في عالم الأغنية والخروج من طوق غناء البستة ومساحتها اللحنية الضيقة بالإضافة إلى تغيير نمط وأنواع الآلات الموسيقية المرافقة لغناء المقام العراقي والغناء الريفي.(العباس، طالب القرة غولي، ٢٠١٩، صفحة ٦٠)

ولأن آلة العود قد انتشرت وتداولت في المدن العراقية الكبيرة والمهمة في بغداد والموصل والبصرة اذ كانت الآلة الموسيقية التي رافقت حياة الناس في تلك المدن ولم يكن هناك أي دور يذكر للموسيقى المجردة من الغناء، بل كانت الآلات الموسيقية مرافقة للغناء بشكل لصيق حتى فترة ما بعد تأسيس معهد الموسيقى (معهد الفنون الجميلة) في بغداد في العام ١٩٣٦م، وذلك تبعا لنوعية الشكل الفني والنوع الغنائي والوظيفة الفنيةالاجتماعية للموسيقى والغناء في المجتمع العراقي بشكل عام، ولم تشترك آلة العود في مصاحبة المغني في بعض أنواع الغناء التقليدي العراقي كما في المقام العراقي والغناء الريفي والچالغي البغدادي الذي يؤدى بمرافقة آلة السنطور والجوزة والرق، إلا في محاولات نادرة لم تلقَ استحسان الجمهور والمغنين. (فريد، ٢٠١٥، صفحة ٤٩٦) بينما نجحت آلة العود بالمشاركة الآلية النغمية ضمن أداء الفنون الغنائية التقليدية العربية في مصر عند تقديم حفلات أم كلثوم مع محمد القصبجي ومحمد عبد الوهاب وفريد الاطرش ورياض السنباطي ومن سبقهم من الفنانين الكبار أمثال سيد درويش وعبده الحمولي.

من الأحداث المهمة والتي لها الأثر البالغ في تاريخ الموسيقى والغناء العراقي في القرن العشرين، هي تأسيس معهد الفنون الجميلة (معهد الموسيقى آنذاك) في العام ١٩٣٦م،عندما أوكلت وزارة المعارف العراقية إلى

الشريف محي الدين حيدر(ابن الشريف حيدر شريف مكة أبان حكم الدولة العثمانية)، لتأسيس المعهد المذكور، وكان الشريف محي الدين حيدر قد درس العزف على آلة الچلو والبيانو والساژ التركي والعود في تركيا، وبدأ بتدريس آلة العود والچلو والكمان، وله إنجازات أدائية خدمت العزف على آلة العود، فقد نقل تقنية العزف على آلة الچلو إلى العود باستخدام مواقع الأصابع Positionsعلى زند العود أضافة إلى النقلة النوعية في تغيير أسلوب العزف على العود، حيث كان العود العراقي لا يختلف من حيث دوره في التخت الشرقي كآلة مرافقة للغناء وعزف الفواصل الموسيقية بين مقاطع الغناء والارتجال قبل الغناء غير الموزون (الموال)، ويعتبرالشريف محي الدين حيدر مؤسس مدرسة العود البغدادية العراقية والمدرسة التطريبية وصاحب الفضل في تغير أسلوب الأداء المتداول آنذاك.وقد أحدث الشريف محي الدين حيدر تغيير مهم في دور آلة العود في العراق حيث بدأ العود يقدم الألحان بمفرده والتي تُعبر عن قصة معينة أو حدث ما وقد نجح بذلك، ومن هذه الألحان مقطوعة (ليت لي جناح)، (الطفل الراكض) وكاپريس وغيرها، وقد استمرت هذه المدرسة التعبيرية إلى يومنا هذا عن طريق طلابه وتلاميذهم.(سالم، ٢٠٢١) ومن أشهر عازفي العود العراقيين الذين تتلمذوا على يد الشريف محي الدين حيدر:

١. جميل بشير.

٢. منير بشير.

٣. سلمان شكر.

٤. غانم حداد.

وقام كل من تلامذة الشريف الأربع الكبار، ببعض التغييرات في أسلوب عزفهم بما يتلاءم مع نظرتهم الفنية وتطور لغة الثقافة الموسيقية العراقية في عصرهم، وبالرغم من تباين أساليب عزفهم يبقى مجموعهم يمثل المدرسة البغدادية في العزف على آلة العود. ومن تلاميذ سلمان شكر الفنان علي الإمام والحاج معتز البياتي، أما من تلاميذ الأستاذ علي الإمام فهم سالم عبد الكريم وأحمد سليم وسليم سالم، ومن تلاميذ منير بشير نصير شمة ومن تلامذة غانم حداد عازف العود خالد محمد علي.(خصاف، ٢٠٢١)، واستمرت حركة تطور العزف على آلة العود بوساطة تلامذة الشريف وتلامذتهم وأصبح بإمكان العازفين والملحنين تقديم مؤلفات عراقية لآلة العود بالقوالب الفنية المعروفة كقالب السماعي وغيرها، ولا ننسى فضل معهد الدراسات الموسيقية (معهد الدراسات النغمية سابقاً) لاهتمام هذا المعهد بالعزف على الآلات الموسيقية الشرقية والعربية وحظيت آلة العود بالتأكيد على اهتمام كبير.

أشهر مؤلفي الأوركسترا وعازفي العود

عبد الرزاق العزاوي:

من مواليد محافظة بابل في العام ١٩٤٧م، خريج معهد الفنون الجميلة قسم الموسيقى في العام ١٩٦٢م وزميل الكلية الملكية للموسيقى في انكلترا ١٩٦٦م، تولى قيادة الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية فيالعام١٩٧٤م وهو أول قائد عراقي للفرقة وأول من كتب المؤلفات لآلة العود بمرافقة أوركسترا الوتريات Strings Orchestra في العام ١٩٧٤م بعنوان "تنويعات على لحن عراقي"، وقام بالعزف على آلة العود الفنان سالم عبد الكريم. ويلقب العزاوي بشيخ المؤلفين وهو رئيس اتحاد الموسيقيين العراقيين.(الخفاجي، ٢٠٢١)

منذر جميل حافظ:

من مواليد بغداد في العام ١٩٣١م، أنهى دراسته الموسيقية في العزف على آلة الڤيولا من معهد الفنون الجميلة ببغداد في العام ١٩٦٣م. وهو من الأعضاء المؤسسين للفرقة السيمفونية وله الفضل في تشجيع الكثير من أعضاء الفرقة السيمفونية على كتابة الأعمال الموسيقية وتقديمها من خلال الفرقة إلى جانب الأعمال الموسيقية العالمية مساندة لمبادرات التأليف الموسيقي وترسيخ مبدأ خلق موسيقى وطنية من تأليف الموسيقيين العراقيين لتنمية هذا الاتجاه وجعله سياقاً دائماً. (الأنصاري، ٢٠١٢، الصفحات ٣٦٠-٣٦٦) له عمل موسيقي واحد بمرافقة آلة العود بعنوان "كونشيرتو العود والأوركسترا الوتري" Strings Orchestra، الذي قدمته الفرقة السيمفونية العراقية عام ١٩٧٨م بقيادة جيرزيبروسنر وعزف العود الفنان سالم عبد الكريم، وجاء في حركتين.(عجام، ٢٠١٨)

سلمان شكر:

من مواليد بغداد في العام ١٩٢١م، وهو من طلبة الشريف محي الدين حيدر، وتتلمذ على يديه الكثير من أشهر عازفي العراق، منهم الحاج معتز البياتي وآخرون، أسس فرقة خماسي العود البغدادي من كبار العازفين من خريجي معهد الفنون الجميلة في العام ١٩٤٠م، وقدم هذا الخماسي العديد من مؤلفات الاستاذ سلمان شكر مثل الغجرية الحسناء، وحورية الجبل، وگلگامش، وسماعي ماهور، وكانت تُقدم من الإذاعة العراقية موزعة هارمونياً

بمجموعة من العازفين على آلة الكمان آرام تاجريان وعلى آلة الڤيولنسيل حسين قدوري وغيرهم من أساتذة المعهد، كما شارك بالعزف مع أوركسترا لندن سيمفوني في قاعة الملكة اليزابيث في العام ١٩٨٣م كونشرتو العود بمعزوفة موسيقية لموشح صوفي علق بأذنه فجعل منه مؤلفة موسيقية كبيرة قام بتوزيعها للفرقة السمفونية المستشرق البريطاني المستر جون هايورد،(الأمير، ٢٠١٣)

سالم عبد الكريم:

من مواليد بغداد ١٩٥٣م، تجاوزت إنجازاته في مجال العود مع الأوركسترا ١٠٠ عملا في مختلف القوالب والصيغ، وأول عمل قدمه كعازف لآلة العود عام ١٩٧٦م وهو طالب في الصف الثالث في معهد الدراسات النغمية العراقي وكان كونشيرتو العود والأوركسترا الوتري في سلم ري الكبير وهو من مؤلفات منذر جميل حافظ، والعمل الثاني مع الأوركسترا الوتري Strings Orchestra, وهو تنويعات على لحن شعبي عراقي من مؤلفات عبد الرزاق العزاوي، ومن مؤلفاته وعزفه على العود بمرافقة الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية كونشيرتو العود في مقام فا الصغير والأوركسترا السيمفوني Full Orchestraالواقع في ثلاث حركات قُدم في بغداد على مسرح الرشيد بقيادة محمد أمين عزت عام ١٩٩٤م، غادر العراق عام ١٩٩٨م وقدم الكثير من الكونسيرتات في العديد من دول العالم وفي أربع قارات مع أكبر فرق الأوركسترا السيمفوني في العالم.(عبد الكريم، ٢٠٢١)

سليم سالم:

من مواليد محافظة ذي قار في العام ١٩٥٤م، خريج كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد، عازف عود وملحن، من أعماله الموسيقية التي قدمتها الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية، احتظار طفل محاصر في عام ١٩٩٩م، وعمل موسيقي من قالب القصيد والذي فاز بمسابقة التأليف الموسيقي لعام ١٩٩٩م الذي أقامته وزارة الثقافة العراقية آنذاك، وحكايات عود عراقي في عام ٢٠٠٠م وهو في قالب الفنتازيا، وقبسات من الغناء العراقي يوثق ألحان ثماني أغنيات عراقية تراثية قُدم في بغداد عام ٢٠١١م، وطريق الحق عام ٢٠١٦ مقدم على المسرح الوطني في بغداد، وكل هذه المؤلفات قام سليم سالم بالعزف على آلة العود.(سالم، ٢٠٢١)

علي خصاف:

من مواليد بغداد العام ١٩٥٧م، خريج معهد الفنون الجميلة ومدرسة الموسيقى العسكرية دبلوم موسيقى عسكرية عام١٩٧٦م، عازف كلارينيت، له العديد من المؤلفات للأوركسترا والتوزيع الأوركسترالي للعديد من الأعمال لملحنين آخرين، ويميل إلى إشراك الآلات الموسيقية العربية والشرقية مع الأوركسترا. كتب موسيقى الأوركسترا لمجموعة من السماعيات والقطع الموسيقية أحادية اللحن للعديد من الملحنين من عازفي آلة العود الذين عزفوا تلك الأعمال منهم علي حسن، سامي نسيم واحمد سليم.(خصاف، ٢٠٢١)

مصطفى السوداني:

من مواليد بغداد ١٩٦٣م، الرئيس السابق لقسم الفنون الموسيقية في كلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد، ويحمل لقب علمي أستاذ مساعد، عازف بيانو ومؤلف موسيقي للأوركسترا، مؤسس وقائد الفرقة الموسيقية لدائرة السينما والمسرح في العام ١٩٩٧م، له العديد من المؤلفات الموسيقية السينمائية والمسرحية والتلفزيونية داخل العراق وخارجه، فضلاً عن المؤلفات الموسيقية العربية والعراقية والموشحات الأندلسية، فاز بجائزة التأليف الأوركسترالي في العام ٢٠١٣م الذي تقيمه وزارة الثقافة العراقية،من أشهر مؤلفاته مع آلة العود بعنوان "مرّوا بينا من تمشون" من التراث العراقي، وهو عمل لأوركسترا الوتريات بمرافقة العود بواقع بحركة واحدة عزف العود الفنان أحمد سليم.

نصير شمة:

من مواليد مدينة الكوت في العام ١٩٦٣م، خريج معهد الدراسات الموسيقية في بغداد، من أشهر عازفي آلة العود العراقيين، له مؤلفات كثيرة في العزف على آلة العود بمرافقة الفرق الموسيقية المتنوعة بين التخت الشرقي وصولاً للحجم الأوركسترالي في بلدان عربية وأجنبية عديدة، مؤسس بيت العود العربي في بلدان عربية وأجنبية. متعدد المواهب الموسيقية والنتاجات بين العزف المنفرد إلى الموسيقى التصويرية للمسرحيات الجادة العراقية والعربية ولأكثر من ٣٠ عملاً مسرحياً، ومؤلف لموسيقى الأفلام السينمائية والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وقد حصد العديد من الجوائز والشهادات التقديرية لإنجازاته الفنية ونشاطاته الخيرية والإنسانية.(الخفاجي، ٢٠٢١)

خالد محمد علي:

من مواليد مدينة الموصل في العام ١٩٦٠م، عازف متقدم على آلة العود والكمان، له العديد من المؤلفات الموسيقية لآلة العود على وفق القوالب الموسيقية العربية وأبرزها سماعي حجاز كار الذي فاز بجائزة التأليف الموسيقي التي يقيمها المجمع العربي للموسيقى في العام ١٩٩٩م، تنقل بين تونس والإمارات العربية وأقام فيهما العديد من النشاطات الفنية بين تقديم مؤلفاته في العزف على آلة العود والتدريس وتأسيس المراكز الموسيقية.

أحمد سليم:

من مواليد بغداد في العام ١٩٧٢م، عازف عود، رئيس قسم الكونترباص في الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية، خريج معهد الدراسات الموسيقية في العام ١٩٩٦م، وخريج كلية الفنون الجميلة، مدير مدرسة الموسيقى والباليه في بغداد ومسؤول نشاطها الفني لما يزيد عن ١٢ عاماً، له إنجازات عديدة في مجال العزف على آلة العود،ومؤسس لفرق موسيقية شاركت في محافل عربية وعالمية منها فرقة منير بشير المتخصصة بالعزف على آلة العود وفرقة التراث الغنائي العراقي، شارك في العديد من النشاطات الفنية داخل العراق والبلدان العربية في مصر، تونس، الأردن، الأمارات العربية، الجزائر وسوريا. (غني، ٢٠٢١)

مصطفى محمد زاير:

من مواليد بغداد ١٩٧٨م، عازف عود متقدم وخريج معهد الدراسات الموسيقية العام ٢٠٠٤م، له مؤلفات خاصة بآلة العود من أشهرها لونگا في حضرة المقامات في العام ٢٠١١م وسماعي كرد بعنوان طريق الياسمين في العام ٢٠١٥م، عزفت له الفرقة السيمفونية مؤلفة بعنوان "حالة حب" في القالب الحر لحنها هو وقام المايسترو علي خصاف بتوزيعها وقيادتها، أقام العديد من الحفلات داخل العراق وفي البلدان العربية ومنها الإمارات والبحرين وقطر ولبنان والبلدان الأجنبية في بلغاريا وصربيا وموسكو،أسس مركز مصطفى زاير لتعليم العزف على الآلات العربية والغربية في بغداد.(زاير، ٢٠٢١)

الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية

تمثل الموسيقى صفحة مشرقة من صفحات مسيرة الفن في العراق منذ نشأته الأولى في بلاد وادي الرافدين والأزمان اللاحقة مروراً بالعصر الذهبي الذي يمثله العصر العباسي وتأسيس مدينة بغداد (الزوراء) وزهوها وتألقها في العلم والفن مروراً إلى القرن العشرين وبالتحديد عند تأسيس المملكة العراقية في العام ١٩٢١م والانفتاح الكبير الذي حصل في العراق والذي شمل الحركة الفنية الموسيقية والغنائية في العراق، وهكذا توالت الأحداث وأصبح الفن الموسيقي في العراق يلعب دوراً مهماً في حياة المجتمع بجميع أطيافه، نتيجة للوعي الثقافي والفني الذي أخذ يتبلور في أواسط القرن العشرين عند الطلبة الذين درسوا في المعاهد والكليات الموسيقى العراقية فضلاً عن مجموعة الطلبة الذين درسوا خارج العراق وتميزوا بالموهبة الفنية والاحساس العالي والحماس لإرساء قيم فنية جديدة في المجتمع العراقي.

ان تأسيس الفرقة السمفونية الوطنية العراقية هو ليس وليد اللحظة وانما هو نتاج تراكم من النتاجات والانجازات التي قدمتها الحكومة العراقية آنذاك فضلاً عن الفنانين الموهوبين والمبدعين من محبي الموسيقى العالمية، وكان لمعهد الفنون الجميلة دور أساسى وفضل كبير في تهيئة الظروف الفنية لتأسيس الفرقة السيمفونية، فضلاً عن دوره في تهيئة جيل من الشباب الواعي الذين أصبحوا فيما بعد رواد الفن الموسيقي والغنائي في العراق، وكانت تُدرس في المعهد الآلات الهوائية الخشبية والنحاسية على يد عدد من المدرسين الاجانب لتدريس آلة الأوبوا والفلوت والباسون والكلارينيت وتوفير القطع الموسيقية والسكورات التي ساعدت بمجموعها في تهيئة الظروف المناسبة لتأسيس الفرقة السمفونية الوطنية العراقية.

في العام ١٩٤١م نظمت مجموعة موسيقية على شكل أوركسترا صغيرة ضمت عدد من العازفين من أساتذة المعهد العراقيين والأجانب وبعض الطلبة المتميزين كان من بينهم فؤاد رضا السادن، آرام بابوخيان، بسيم مصطفى، حنا بطرس، فؤاد ميشو، فريد الله ويردي، منير الله ويردي وآرام تاجريان وآخرين، ومن الأجانب جوليان هيرنس، الشريف محي الدين حيدر، مسيو جميل، ساندو ألبووالتر جنكي، وتشكلت جماعة بغداد الفولهارمونية في العام ١٩٤٨م في محاولة منهم لتقليد الفرق والجماعات الموسيقيةالعالمية وقاموا بإجراء التمارين وتهيئة نوتات الأعمال الأوركسترالية العالمية من موسيقى الباروك والكلاسيك واتخذت من مسرح قاعة معهد الفنون الجميلة مقر لتمارينها ومن ثم إقامة الحفلات الموسيقية في نفس المسرح بالإضافة إلى بعض الحفلات التي كانت تقيمها الفرقة على مسرح قاعة الملك فيصل، وكانت هذه الفرقة بقيادة عازف الكمان الروماني ساندو ألبو الذي كان يتمتع بخبرة في مجال القيادة الأوركسترالية. (الأنصاري، ٢٠١٢، الصفحات ٦٠-٦١)

لقد شغلت جماعة بغداد الفولهارمونية دوراً فنياً كبيراً في عطاءاتها الموسيقية خلال سنين نشاطها في وقت كانت فيه الموسيقى الأوركسترالية تعتبر صورة من صور التراث العالمي وانتماء للثقافة الأوروبية، ومن خلال استعراض مسيرة الفرقةالسيمفونية الوطنية العراقية فإنها تُعد من أقدم الفرق السمفونية في المنطقة فحينما كانت البداية في أربعينات القرن الماضي بجهود ومساع ومبادرات الفنانين من الشباب الذين ساهموا في تكوين نواة الفرقة السمفونية الوطنية العراقية من دون أن يكون لها دعم حكومي، واستمر هذا النشاط حتى أواخر الخمسينات لتثمر مسيرة الفرقة فتصبح سنة ١٩٥٩م كياناً فنياً برعاية وزارة المعارف العراقية آنذاك واتخذت من قاعة معهد الفنون الجميلة مقراً لها وبدأت بوضع برنامج للتمارين، حيث تولى قيادة الأوركسترا التي كانت تقتصر على عازفي الآلات الوترية البروفيسور سكفريد شتولده الذي كان يعمل استاذا لتدريس آلة البسّونBassoon في معهد الفنون الجميلة وبرغم تشكيل الفرقة برعاية وزارة المعارف إلا أن الدعم كان محدوداً وكان المحرك الحقيقي لنشاطها وديمومتها هو إدارة وأساتذة وطلبة معهد الفنون الجميلة أنفسهم. (الأنصاري، ٢٠١٢، الصفحات ٦٣-٦٤)

إن نشاط هذه الفرقة ودورها في المحافل الفنية ساعدها كثيراً ما دفع بالمسؤولين على احترامها وتبني فكرة تأسيس أوركسترا سيمفونية عراقية بدعم حكومي يوفر لها امكانات مادية ومعنوية ويحقق لها الاستمرارية والتطور باعتبارها جزءا مهما من الحركة الفنية والثقافية في العراق، ومن هنا كانت البداية الحقيقية حينما اتخذت وزارة الارشاد العراقية أمراً وزارياً في العام ١٩٦٢م بتشكيل الفرقةالسمفونية رسمياً وتحديث ارتباطها بالوزارة المذكورة وبتوقيع الوزير الزعيم الركن اسماعيل عارف. (الأنصاري، ٢٠١٢، صفحة ٦٦)

ومن المكتسبات التي حصلت عليها الفرقة السمفونية الوطنية العراقية تحت رعاية وزارة الإرشاد (وزارة التربية حالياً)، كان في تهيئة وتوفير المستلزمات الضرورية لإنجاح هذه التجربة، حيث تم الاتفاق على حاجة الفرقة إلى قائد ذى خبرة عالية، فتم ترشيح القائد الألماني هانز مومر الذي كان عازفاً على آلة الڤيولا ويُعد من المؤلفين الموسيقيين للأوركسترا. (الأنصاري، ٢٠١٢، صفحة ٧١) ويمكن حصر مراحل تأسيس الفرقة السمفونية العراقية بما يأتي:

- مرحلة مجموعة بغداد الأوركسترالية عام ١٩٣٩م مرحلة التكوين ال0623 ولى التي احتضنت التجمعات الصغيرة.

- مرحلة جمعية بغداد الفولهارمونيك عام ١٩٤٨م وهم رباعي وتري مكون من طلبة وأساتذة معهد الفنون الجميلة.
- مرحلة رباعي هايدن عام ١٩٥٤م.
- المرحلة الرسمية التي بدأت عام ١٩٥٩م والتي اكتسبت الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية فيها صفة رسمية بعد أن ارتبطت بوزارة المعارف آنذاك، ومن ثم بوزارة الارشاد بقيادة(سكفريدشتولده) من المانيا وبعدها استدعت الوزارة المذكورة قائداً اخر من المانيا أيضاً هو (هانز كونتر مومر). (العباس، ٢٠١٢، صفحة ٤٦٩)

واستمر اعطاء هذه الفرقة بقيادة مومر حتى العام ١٩٦٦م عندما صدر أمر من وزارة المعارف وزارة الثقافة والإرشاد بالعام ١٩٦٦م بإلغاء الفرقة السمفونية الوطنية العراقية ولأسباب غير معروفة، وهكذا توقفت هذه الفرقة عن العطاء، ولقد كان الفضل الكبير في التواصل وإجراء التمارين أثناء فترة إلغاء الفرقة يعود إلى الأستاذ منذر جميل حافظ الذي كان يستضيف تلك النشاطات في داره مخصصاً إحدى الصالات الكبيرة للتمرين حيث كان يلتقي فيها عدد من عازفي الفرقة السمفونية وأغلبهم من عازفي الآلات الوترية في محاولة منه لإدامة تواجد العازفين وتواصلهم مع التمارين الجماعية، حتى أُعيد تأسيس الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية مرة أخرى في العام ١٩٧١م، وتم الاتصال مع نفس القائد (مومر) والتعاقد معه لقيادة الفرقة وبذلك باشر عمله قائدا للفرقة وقدمت هذه الفرقة حفلات كثيرة على قاعة الخُلد والتي تعد من أكبر القاعات وأشهرها في بغداد آنذاك.

وقد حققت الفرقة في سبعينات القرن الماضي إنجازات إدارية وتشكيلية مهمة تساعدها على الارتقاء والتقدم، وبناء على طلبات قائد الأوركسترا المتكررة، وافق وزير الثقافة والإعلام آنذاك شفيق الكمالي والذي كان متحمسا وداعما للفرقة وخول المايسترو مومر شراء الآلات الموسيقية المطلوبة وتم ذلك باستيراد وجبة من الآلات الموسيقية الاحترافية وزعت على أ عضاء الأوركسترا كما حصلت الموافقة على إيفاد منذر جميل حافظ وإحسان أدهم إلى المانيا الشرقية وبولونيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا للتحري عن عازفين محترفين والتعاقد معهم وفق الشروط والامتيازات المتفق عليها، وبهذا تكون الأوركسترا قد حققت أهم الاحتياجات التي تساعدها في تسيير أعمالها ونقطة الشروع الحقيقية في مواصلة مسيرة تطورها بخطى قوية وواقعية.(الأنصاري، ٢٠١٢، صفحة ١١٦) واستمر عطاء الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية إلى يومنا هذا محفوفة بمحبة الجمهور الغفير المحب للموسيقى والمتذوق لها، وتوالى على قيادة الفرقة قادة عراقيون بعد القائد الألماني مومر، وهم عبد الرزاق العزاوي، محمد أمين عزت، كريم

كنعان وصفي وعلي خصاف، قدموا الكثير من الأعمال الموسيقية العالمية للمؤلفين العالميين الكبار، وهي فرقة على مستوى متقدم من الأداء ويتم اختيار العازفين فيها وجميعهم من العراقيين، بشروط صعبة واختبارات متواصلة وفتح الباب للشباب الموهوبين بالعزف مع الفرقة بصفة متدربين وأغلبهم من مدرسة الموسيقى والباليه ومعهد الفنون الجميلة وكلية الفنون الجميلة في بغداد.

ومن خلال تتبع الباحث لفقرات مناهج حفلات الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية منذ تأسيسها والى يومنا هذا، وجد أن قادة الفرقة ومسؤوليها الإداريين يبتعدون عن تقديم المؤلفات العراقية الأوركسترالية سواء كانت أعمال سيمفونية خالصة أو بمرافقة الآلات الشرقية والعربية، وذلك بذريعةأن الفرق السيمفونية هي بالدرجة الاولى مخصصة للمؤلفات الأوركسترالية الأجنبية والعالمية، وأن بعض القادة يتفاخرون بقيادة قطع موسيقية عالمية مشهورة، وفي واقع الأمر، إن هناك نوعا من التعالي وعدم إعطاء الفرص لمستحقيها من المؤلفين العراقيين الذين لا ترقى مؤلفاتهم إلى مستوى المؤلفات الأوركسترالية العالمية الكلاسيكية او الرومانتيكية، بيد أنه يتوجب على الفرقة السيمفونية الوطنية العراقيةان تكونالداعم الحقيقي لمحاولاتهم الجادةوتقديم الجيد من مؤلفاتهم بما يكسبهم الخبرةفي مجال التأليف والتوزيع الأوركسترالي والتطور نحو تقديم مؤلفات موسيقية أكثر رقياً وبالذات في ما يخص التراث العراقي او إدخال الآلات العربية أو مؤلفات أوركسترالية مخصصة للآلات العربية والشرقية، وهناك العديد من المؤلفين العراقيين من عازفي آلة العود قاموا بالتوزيع الأوركسترالي لسماعيات ولونگات لآلة العود وأذكر منهم الفنان سالم عبد الكريم حيث قدم العديد من المؤلفات لآلة العود بمرافقة الأوركسترا بأشكالها وحجومها المتنوعة خارج العراق بالدرجة الأساس، وسليم سالم وهو مؤلف للأوركسترا وعازف عود، بينما قام عازفو العود سامي نسيم، أحمد حسن، خالد محمد علي وأحمد سليم وآخرون بتلحين أعمال موسيقية للعود تم توزيع أغلبها من قبل القائد علي خصاف، وهي بمجملها نتاج قليل لا تتعدى نسبتها ١٠٪ من القطع الموسيقية التي تقدمها الفرقة، رغم وجود عازفي الآلات الشرقية والعربية ضمن العازفين الأساسين بالفرقة السيمفونية الوطنية العراقية والتعاقد معهم بأجور مجزية كآلة العود، القانون والسنطور.

إجراءات البحث والنتائج

يمكن جمع المؤلفات الموسيقية لألة العود بمرافقة الأوركسترا والتي قدمتها الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية، وأشكالها الفنية المختلفة بالجدول في أدناه مرتبة بحسب الفترة الزمنية وهي تمثل مجتمع البحث، وقد اختار الباحث عملاً واحداً ليمثل عينة البحث ويطبق عليه المعيار التحليلي للتوصل إلى نتائج البحث،بسبب توفر نوتات السكور الكامل Score ونوتات الآلات المفردة Parts بالإضافة إلى تدوين الوساطات التعبيرية والأدائية مع النوتة الموسيقية لآلة العود والآلات الأخرى والتي دونها المؤلف لتتماشى مع الأوركسترا وصولاً إلى التعبير المثالي عن روح العمل الموسيقي، وهو عمل قصير نسبياً مقارنة بالأعمال الموسيقية الأخرى يرى الباحث أنه ينسجم مع شروط البحوث العلمية في المؤتمر واعداد صفحاته، ويمكن التوصل من خلاله إلى نتائج حقيقية للبحث.

اسم المؤلفة	حجم الفرقة	المؤلف	توزيع الأوركسترا	عازف العود	التاريخ
تنويعات على لحن شعبي	أوركسترا الوتريات	عبد الرزاق العزاوي	عبد الرزاق العزاوي	سالم عبد الكريم	١٩٧٤م
كونشرتو العود *D Major*	أوركسترا الوتريات	منذر جميل حافظ	منذر جميل حافظ	سالم عبد الكريم	١٩٧٦م
كونشرتو العود*F Minor*	الأوركسترا الكامل	سالم عبد الكريم	سالم عبد الكريم	سالم عبد الكريم	١٩٩٤م
احتظار طفل محاصر	الأوركسترا الكامل	سليم سالم	سليم سالم	سليم سالم	١٩٩٩م
حكايات عود عراقي	الأوركسترا الكامل	سليم سالم	سليم سالم	سليم سالم	٢٠٠٠م
قبسات من الغناء العراقي	الأوركسترا الكامل	سليم سالم	سليم سالم	سليم سالم	٢٠١١م
نشوة	الأوركسترا الكامل	سليم سالم	سليم سالم	سليم سالم	٢٠١٥م
طريق الحق	الأوركسترا الكامل	سليم سالم	سليم سالم	سليم سالم	٢٠١٦م
لونگا	الأوركسترا الكامل	علي حسن	علي خصاف	علي حسن	٢٠١٦م
حالة حب	الأوركسترا الكامل	مصطفى محمد زاير	علي خصاف	مصطفى محمد زاير	٢٠١٦م

سماعي عجم	الأوركسترا الكامل	روحي الخماش	علي خصاف	أحمد سليم، علي حسن، مصطفى محمد زاير	٢٠١٧م
مرّوا بينا	أوركسترا الوتريات	مصطفى السوداني	مصطفى السوداني	أحمد سليم	٢٠١٨م
لغد أجمل	الأوركسترا الكامل	نصير شمة	علي خصاف	نصير شمة	٢٠١٨م
من الذاكرة	الأوركسترا الكامل	نصير شمة	علي خصاف	نصير شمة	٢٠١٨م

فقرات معيار تحليل البحث:

١. الشكل الفني (الفورم) وزمن العمل الموسيقي بالدقائق والثواني.
٢. عدد مازورات العمل كاملة،وعدد مازورات آلة العود.
٣. المدى اللحني للمؤلفة كاملة مع المدى اللحني لآلة العود.
٤. نوع عزف آلة العود:
   - صولو منفرد.
   - صولو مع مرافقة الأوركسترا.
   - مشاركة الأوركسترا بالعزف.
٥. تنوع الأجناس الموسيقية عند آلة العود.
٦. الوسائل الأدائية والتكنيكية المستخدمة.
٧. دليل الزمن والسرعة الأدائية.

Oud

مروا بينا من تمشون

Murru Bina

الأستاذ المساعد مصطفى السوداني

١. المؤلفة بحركة واحدة،تتضمن ثلاثة أجزاء متصلة تمثل قالب السوناتا Sonata Form، والزمن الكلي لها٥ دقائق و ١٠ ثواني.

٢. عدد مازورات المؤلفة = ٨٦ مازورة.

عدد مازورات العود = ٤٣ مازورة، بما يشكل نسبة ٥٠٪

٣. المدى اللحني للوتريات في مفتاح صول.

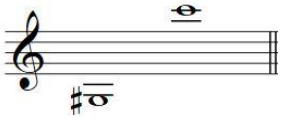

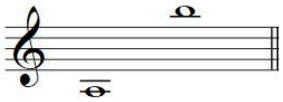

المدى اللحني لآلة العود.

٤. لم يكن هناك عزف صولو انفرادي للعود عدا أجزاء من بعض بدايات البارات الموسيقية، وكان جميع عزف العود بمرافقة الأوركسترا، كما وشارك العود بالعزف مع آلة الجلو منفردين، كما شارك بالعزف مع الكمان الأول والثاني، كما وعزف العود مع الأوركسترا بشكل جماعي Tutti.

٥. كان السلم الرئيس هو سلم النهاوند وظهرت الأجناس التالية في عزف الأوركسترا والعود على حد سواء، ولم تكن هناك تغييرات مقامية عدا بعض النغمات العرضية عند الوتريات في مقدمة العمل.

٦. استخدم عازف العود المصطلحات الأدائية والتكنيكيةالتالية:

- ارتفاع شدة الصوت من الواطئ إلى المرتفع *Crescendo*
- تخفيف شدة الصوت من العالي إلى الواطئ Diminuendo
- عزف بمستويات متنوعة من شدة الصوت من الصوت الخافت *Pianissimo* إلى الصوت المرتفع *Forte*.
- الزحف بين النغمات *Glissando*
- تقطيع النغمات Staccato

- القبراتو *Vibrato*
- الفرداش *Tremolo*
- *العزف المزدوج Double stop*
- *Appoggiatura*

٧. كان دليل الزمن بالوزن السداسي٦ إلى ٤، بينما السرعة الأدائية ثابتة لم تتغير، وان التغيير الداخلي في سرعة العزف كان بتغيير أطوال أزمنة النغمات بين الأزمان الطويلة والقصيرة، ما يعطي طابع تغيير السرعة عند المتلقي، ولكنها في واقع الحال سرعة ثابتةلم تتغير وهي 100 =

من خلال ما تقدم، يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

١. إن الإمكانات الأدائية والتكنيكية لآلة العود تمكنها وبشكل قوي من أخذ دور فاعل في المؤلفات الأوركسترالية.
٢. أثبتت آلة العود عن إمكاناتها الأدائية والتكنيكية العالية كآلة موسيقية متكاملة.
٣. تناغم المدى اللحني واللون الصوتي لآلة العود مع الآلات الموسيقية في الأوركسترا.
٤. وجود عازفين عراقيين على مستوى عالٍ من الأداء يمكنهم من مرافقة الأوركسترا في مؤلفات موسيقية صعبة الأداء.
٥. اهتمام واضح لمؤلفي الأوركسترا العراقيين بهذه الآلة واعطائها حجمها الحقيقي في الثقافة الموسيقية العربية والأوركسترالية على حد سواء.
٦. تطويع الأوركسترا لأداء القوالب الفنية العربية، كالسماعي والبشرف وغيرها، بشكل ينم عن إمكانات المؤلفين من جهة ومراعاة لأصول الموسيقى العربية من جهة أخرى.
٧. اهتمام متواضع من قادة وإدارة الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية بمؤلفي الأوركسترا العراقيين فضلاً عن تحجيم الآلات العربية ومرافقتهامعالأوركسترا.
٨. دور مهم لعبته آلة العود وعازفيها المحترفين مثل نصير شمة وسالم عبد الكريم وآخرين، في نشر الثقافة الموسيقية العراقية ودور الآلات الموسيقية العربية وتنمية ذائقة الجمهور العربي والأجنبي في المحافل العربية والدولية.

المصادر والمراجع:

١. حبيب ظاهر العباس. (٢٠١٢). منهل المتسائل عن الموسيقى وأخبار الغناء في العراق القرن العشرين. بغداد: دار الثقافة والنشر الكردية.
٢. حبيب ظاهر العباس. (٢٠١٩). طالب القره غولي. بغداد: مطبعة العدالة.
٣. حسام الدين الأنصاري. (٢٠١٢) .تاريخ الفرقة السمفونية الوطنية العراقية في خمسين عاماً. بغداد: شركة الديوان للطباعة الفنية المحدودة.
٤. طارق حسون فريد. (٢٠١٥). العود العربي من بابل إلى بغداد. بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع.
٥. مصطفى عباس السوداني. (٢٠٢٠). بحوث في الموسيقى والغناء العراقي. بغداد: دار الفتح للطباعة والنشر.

المصادرالإلكترونية:

http://www.alnoor.se/article.asp?id=197263
الليلة التاريخية الفنية في مسيرة الفنان الكبير الاستاذ سلمان شكر، بقلم سالم حسين الأمير.
http://www.aliabdulameer.com/inp/view.asp?ID=1124
منذر جميل حافظ حارس السيمفوني العراقي، بقلم علي عبد الأمير عجام.

المقابلات الشخصية:

١. احمد سليم.
٢. دريد الخفاجي.
٣. عبد الرزاق العزاوي.
٤. علي خصاف.
٥. مصطفى محمد زاير.

المقابلات الإلكترونية لمن هم خارج العراق:

١. سالم عبد الكريم.
٢. سليم سالم